

سورة الكهف (الآيات: 1 - 5)

1

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف سورة الكهف وفضلها وسبب نزولها.
- 2- أن أدرك الغاية من إنزال القرآن الكريم.
- 3- أن أتمثل المعاني التي تضمنتها فاتحة سورة الكهف.

تمهيد

بعد أن خُتِمَت سورة الإسراء بأمر النبي ﷺ بالهَج بحمد الله تعالى وتنزيهه وتعظيمه وتكبيره، جاءت فاتحة سورة الكهف بالتأكيد على ما ختمت به سابقتها من حمد الله تعالى والثناء عليه بما تفضل به على عباده من نعم كثيرة في مقدمتها إنزال الكتاب الذي وصفه في صدر هذه السورة. فما هي صفة الكتاب الذي أنزله الله على عبده محمد ﷺ؟ وما غاية ذلك؟ وما موقفه ممن ينسب لله الولد؟

الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝¹ فِيمَا لَيْنَا رَبُّنَا شَدِيدَ أَمْرٍ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝² مَلَكُوتٍ بَارِئٍ أَبَدًا ۝³ وَيُنَادِي السَّادِقِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝⁴ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا إِلَهٌ بآيِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝⁵

[الكهف: 1-5]

الفهم

الشرح:

إِلْحَمْدُ لِلَّهِ: الثناء والمدح له وحده على نعمه الظاهرة والباطنة.

عَوَجاً: أي: لا تناقض فيه ولا اختلاف ولا اختلال.

فَيْتاً: مستقيماً.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما المَهْمَةُ العظيمة التي أنيطت بالمنزل والمنزل عليه؟

2 - بم وصف الله القرآن الكريم في هذه الآيات؟

التفسير

أولاً: التعريف بسورة الكهف، وبيان فضلها، وسبب نزولها:

هي سورة مكية في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله ﴿جُزْأً﴾، والأول أصح. وعدد آياتها في العد المدني الأخير الذي هو عد قراءة الإمام نافع في المصاحف المغربية مائة آية وخمس آيات.

وهي من أفضل سور القرآن، كما في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: «قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة، فجعلت تنفر، فسلم فإذا ضبابية أو سحابة غشيته، فذكره للنبي ﷺ فقال: «اقرأ فلان، فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت للقرآن». [صحيح البخاري: كتاب المناقب. باب علامات النبوة في الإسلام، حديث 3614]. وهذا الرجل الذي كان يقرأها هو الصحابي الجليل أسيد بن حضير - رضي الله عنه - كما ورد التصريح به في بعض روايات الحديث.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بسورة عظمها ما بين السموات والأرض، ولمن جاء بها من الأجر مثل ذلك؟ قالوا: أي سورة هي يا رسول الله؟ قال: سورة الكهف، من قرأ بها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام». وفي رواية أنس: «ومن قرأ بها

أُعْطِيَ نورا بين السماء والأرض، ووُقِيَ بها فتنة القبر». [أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ﴿9 / 477﴾].
وروى مسلم والترمذي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصِمَ من الدَّجَالِ ». [صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وآية الكرسي - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث 809]. ولفظ الترمذي: « من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف... » وقال: هذا حسن صحيح [سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء في فضل سورة الكهف، حديث 2886].

وسبب نزول هذه السورة ما ذكره ابن إسحاق في سيرته من أمر اليهود قريشا بسؤال النبي ﷺ عن المسائل الثلاث، وهو ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى أتيا المدينة، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ، فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُنْقُول، فَرَوْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وما كان من أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح. فأقبل النضر وعقبة إلى المدينة وسألا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت سورة الكهف.

ثانياً: نعمة القرآن الكريم والغاية من إنزاله.

بدأ سبحانه هذه السورة بحمد نفسه، فقال تعالى: ﴿إِنِّمَدُ لِلّهِ﴾، وسبب البداء بقوله: ﴿إِنِّمَدُ لِلّهِ﴾ في هذه السورة أن رسول الله ﷺ لما سأله قريش عن المسائل الثلاث: الروح والكهف وذي القرنين، حسبما أشارت عليهم بهن يهود المدينة، قال لهم رسول الله ﷺ: «غدا أخبركم بجواب سؤلكم»، ولم يقل: إن شاء الله، فعاتبه الله عز وجل بأن استمسك الوحي عنه خمسة عشر يوماً، فأرجف به كفار قريش، وقالوا: إن محمداً قد تركه ربيُّه الذي كان يأتيه من الجن، وقال بعضهم: قد عجز عن أكاذيبه إلى غير ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ وبلغ منه، فلما انقضى الأمد الذي أراد الله تعالى عتاب نبيه محمد ﷺ إليه، جاءه الوحي من الله بجواب الأسئلة وغير ذلك، فافتتح الوحي بحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب أي بزعمكم أنتم يا قريش،

وهذا كما تقول لرجل يحب مساءتك فلا يرى إلا نعمتك: الحمد لله الذي أنعم عليّ وفعل بي كذا على جهة النعمة عليه، و﴿الْكِتَابُ﴾ هو القرآن.

قال ابن كثير رحمه الله: «يَحْمَدُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ عِنْدَ فَوَاتِحِ الْأُمُورِ وَخَوَاتِمِهَا، فَإِنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْزَالِهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ إِذْ أَخْرَجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ». [تفسير القرآن العظيم: 5/135].

وقوله ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا﴾ أي: لم يزلْهُ عن طريق الاستقامة، و«العِوَجُ» بكسر العين فقد الاستقامة في المعاني والطرق وما ليس له شخص منتصب، و«العِوَجُ» بفتح العين في الأشخاص كالعصا والحائط ونحوه.

وقوله: ﴿فَيَمَّا﴾ نصب على الحال من «الْكِتَابِ»، فهو بمعنى التقديم مؤخر في اللفظ، أي: أنزل الكتاب قيما. واعترض بين الحال وذو الحال قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا﴾. ذكر الطبري هذا التأويل عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويجوز أن يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره: أنزلهُ، أو جعله قيما. ومعنى «قِيمٌ»: مستقيم، هذا قول ابن عباس والضحاك، وقيل: معناه أنه قيم على سائر الكتب بتصديقها، ذَكَرَهُ المهدوي.

قال ابن عطية رحمه الله: وهذا محتمل وليس من الاستقامة. ويصح أن يكون معنى «قيما» قيامه بأمر الله عز وجل على العالم، وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة للذين عمّا العالم.

ووصف الكتاب بكونه ﴿فَيَمَّا﴾ ونفي العوج عنه، وهما من صفات الأجسام، على سبيل الاستعارة فيهما.

﴿لَيَنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾: «والبأس الشديد» عذاب الآخرة، ويحتمل أن يندرج معه في النذارة عذاب الدنيا ببدر وغيرها، ونصبه على المفعول الثاني، والمعنى لينذر العالم.

وقوله: ﴿مِرْلَدَنَةً﴾ أي: من عنده ومن قبله، والضمير في ﴿لَدُنْهُ﴾ عائد على الله تعالى، وقرأ الجمهور من ﴿لَدُنْهُ﴾ بضم الدال وسكون النون وضم الهاء، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر - شعبة - «من لَدُنْهِ» بسكون الدال وإشمام الضم فيها وكسر النون والهاء.

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا القرآن وبالمرسل به ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح.

وبين قوله: ﴿لَيُنْذِرَ﴾ وقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ طباق، وهو من المحسنات البديعية.
 وقوله: ﴿أَنَّا لَنُعْطِيْكُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ تقديره: بأن لهم أجرا، والأجر الحسن نعيم الجنة، ويتقدمه خير الدنيا. وقوله: ﴿مَلَكِكَيْشٍ﴾ حال من الضمير في ﴿لَنُعْطِيْكُمْ﴾ و﴿أَبَدًا﴾ ظرف، لأنه دال على زمن غير متناه. وفي قوله: ﴿مَلَكِكَيْشٍ وَبِعَبْدًا﴾ أسلوب الاستخدام، فإن الضمير في قوله: ﴿بِعَبْدًا﴾ عائد على الأجر، والأجر شيء معنوي لا يُمكن فيه، فهو عائد إليه على المعنى لا على اللفظ، والمراد: ماكتين في الجنة.

وقوله: ﴿وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أهل هذه المقالة هم بعض اليهود في عُزَيْر، والنصارى في المسيح، وبعض العرب في الملائكة. ﴿مَا لَنُعْطِيْكُمْ مِنْ عِلْمٍ وَلَا بَيِّنَةٍ﴾ ليس لهم بهذا القول الذي افتروه علم أو دليل، وقوله: ﴿وَلَا بَيِّنَةٍ﴾ يريد أسلافهم الذين أخذ هؤلاء هذه المقالة عنهم.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ قرأ الجمهور «كبرت كلمة» بنصب «كلمة» على التمييز، أي: كبرت كلمتهم هذه كلمة، وقيل: نصبها على التعجب، تقديره: أعظم بكلمتهم كلمة، وقالت فرقة: نصبها على الحال، والتقدير كَبُرَتْ فَرِيَّتُهُمْ أو نحو هذا كَلِمَةً. وسميت هذه الكلمات كَلِمَةً من حيث هي مقالة واحدة، كما يقولون للقصيدة كلمة. وفسر «الكلمة» ووصفها بالخروج من أفواههم لبيان أن ليس لهم مستند فيها إلا مجرد قولهم بالسنتهم ولا دليل لهم عليها.

ثالثا: لطائف وفوائد:

- قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿لَيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ حُذِفَ هُنَا الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ وَصُرِّحَ بِالْمُنْذَرِ بِهِ لِأَنَّهُ هُوَ الْغَرَضُ الْمَسْئُوقُ إِلَيْهِ فَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ صُرِّحَ بِالْمُنْذَرِ فِي قَوْلِهِ حِينَ كَرَّرَ الْإِنْذَارَ فَقَالَ: ﴿وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، فَحُذِفَ الْمُنْذَرُ أَوَّلًا لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ، وَحُذِفَ الْمُنْذَرُ بِهِ لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْحَذْفِ وَجَلِيلِ الْفَصَاحَةِ، وَلَمَّا لَمْ يُكْرَرْ الْبَشَارَةُ أَتَى بِالْمُبَشِّرِ وَالْمُبَشِّرِ بِهِ. [البحر المحيط 7 - 136]

- في قوله سبحانه: ﴿لِيُنذِرَ﴾ و﴿يُبَيِّنَ﴾ تنبيه على وظيفة الوحي، وقد جمعت هاتان العلتان جميع معاني الكتاب؛ فإنه لا يكون كذلك إلا وقد جمع أيضاً جميع شرائع الدين وأمر المعاش وأمر المعاد وما يعني المكلفين فعله أو تركه أو اعتقاده، وما يتبع ذلك، وذلك هو الدين القيم، أي المستقيم في نفسه، المقيم لغيره.

- إنزال القرآن الكريم نعمةً عليه ﷺ ونعمة علينا، أما كونه نعمة عليه فلأنه تعالى أطلعه بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه، وصفات الجلال والإكرام، وأسرار أحوال الملائكة والأنبياء، وأحوال القضاء والقدر، وما شاء من عوالم الغيب والملوك، فلا شك أن ذلك من أعظم النعم، وأما كون هذا الكتاب نعمةً علينا فلأنه مشتمل على أنوار الهدايات وعيون البصائر التي تزكو بها النفوس وتسعد القلوب، مع ما فيه من التكاليف والأحكام والثواب والعقاب، فهو كتاب كامل في أعلى الدرجات، وكلُّ ينتفع به بمقدار طاقته وفهمه، فلما كان كذلك وجب على الرسول ﷺ وعلى جميع أمته أن يحمدا الله عليه.

التقويم

1- أذكرُ سبب نزول سورة الكهف، وبعض الأحاديث الواردة في فضلها.

2- لماذا افتتحت هذه السورة بحمد الله تعالى؟

3- ما هي وظيفة القرآن الكريم ومهمة المنزل عليه؟

الاستثمار

قال الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «كَرَامَةٌ قُرْآنِيَّةٌ: لَوْضَعِ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ فِي الْمُصْحَفِ مُنَاسِبَةً حَسَنَةً أَلْهَمَ اللَّهُ إِلَيْهَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَتَّبُوا الْمُصْحَفَ، فَإِنَّهَا تَقَارِبُ نِصْفَ الْمُصْحَفِ، إِذْ كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مَوْضِعٌ قِيلَ هُوَ نِصْفُ حُرُوفِ الْقُرْآنِ وَهُوَ «التَّاء» مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَتَلَخَّفْ﴾ [الكهف: 19] وَقِيلَ: نِصْفُ حُرُوفِ الْقُرْآنِ هُوَ «النُّونُ» مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: 73] فِي أَثْنَائِهَا، وَهُوَ نِهَآيَةُ خَمْسَةِ عَشَرَ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ نِصْفُ أَجْزَائِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنِ صَبْرٍ﴾ [الكهف: 74]، فَجُعِلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي مَكَانٍ قُرَابَةِ نِصْفِ الْمُصْحَفِ». [التحرير والتنوير: 15 / 244 - 245].

- 1- ما هي أنصاف القرآن من حيث الحروف، ومن حيث الأحزاب والأجزاء، ومن حيث السور، ومن حيث الوقف الهبطي؟
- 2- من الذي تولَّى ترتيب سور القرآن كما هي الآن في المصحف؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 6 - 9 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

- 1- ما المراد بلفظ ﴿زِينَةً﴾ في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا﴾؟ وما إعرابها؟
- 2- أبحثُ عن مدلولات العبارات الآتية: بَلِّغْ - عِلْمٌ أَثَرُهُمْ - الرَّفِيعُ.